

سَبِيلُ عَوَّةِ الْحَقِّ وَالْقَائِمُ بِأَمْرِهَا

الدكتور
مؤيد عبد العظيم وملائكة قمر

مجلس شورای اسلامی
کتابخانه

کتابخانه
مجلس شورای اسلامی

بفضوا الله الى خلقه بسوء كلامهم او سوء صنيعهم ، فبدل أن يهدوا
صهوا ، وبدل أن يسعوا سلبوا !

وقد نبه القرآن الكريم الى خطورة نذر من الاحبار والرهبان ،
جعلوا الدين كهانة تفسد بها الفطرة ، وتمتطاد بها المنفعة ، قال تعالى :
« **إن كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل**
ويصنون عن سبيل الله » (١) .

وهذا النوع من الناس آفة الاديان كلها ، وفيه يقول الشاعر :

وهل المد للدين الا الله واحبار سوء ورهبانها

فباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تفل في البيع اثمانها (٢)

وهناك دعاة يعيشون دور الكهان القدامى ، يصورون الاسلام
دينا دعوى المزاج ، شرس المسلك ، يؤخر اللطف ، ويقدم العنف ،
ويهتم بقص الاظافر والاشعار أكثر مما يهتم بقص زوائد الانانية وضط
الناس (٣) .

ومن المحزن أنك ترى الصورة التي تقدم — غالبا — لدار
الاسلام ، أنها الدار التي ينتهب فيها المال العام ، ويسودها حكم
الفرد ، وتهان فيها كرامة المرأة ، بل تضيق حقوقها

وإن المنطحين من الدعاة لا جوار لهم الا بحرب التصحوير ،
والقضاء ، والسفور ، والتلفاز ، وأن العودة الى الاسلام كما يطلبها
الشباب لا تعنى الا العودة الى الهمجية الأولى

(١) سورة التوبة من الآية رقم ٣٤ .

(٢) مشكلات في طريق الحياة الاسلامية — محمد الفزالي — ص ٦٨ .

(٣) انظر مشكلات في طريق الحياة الاسلامية — محمد الفزالي —
ص ٥٢ .

أجبل !!

أن هناك نهضات مظلومة لكن ينقصها الفقه والتجربة ، ونهضات صادقة لكن يخونها للرسميون من علماء الدين ، أو يتناقضون في نمرتها .

وهناك نفر من الحكام يحبون الاسلام حبا جما ، لكن لا يدرون كيف يحكمونه ، وهناك حكام ظالمون يتأييدونهم للمماناة والسياسة المرتكز على مصطفى كمال (١)

انه بذلك يوجد تقصير مكتوف ، كما يوجد جهل فاضح على الساحة الاسلامية ، والنتيجة أن دعوة الحق لا تحصد الا الشوك من وراء هؤلاء جميعا ، الذين ينطلقون بمقولهم الكليية يسيئون ولا يصنعون وليس ذلك عجيب ، لكن المريب أن يبقى الخطأ وأن تضر عليه الألاعيب أن يمضي بعضنا في طريق الانحراف ولا يجري أو لعله يحسب نفسه على هدوابة .

اننا اذا في حاجته الى داعية مضمك يعرف دعوة الحق ، ويعمل لتمكينها وتاصيلها في نفوس الخلق ، ويعرف الوسيلة المضيئة التي تدركه بمطلوبه حتى لا يهوى في مكان سحيق ، ويحسب أنه من الذين يصنعون صنعا ، وقد يما قالوا : « لا ترم سهما يعبك رده » .

وأن يكون كذلك مظلما في دعوته ، منطلقا من هذه القاعدة ، لا يطلب على هذا العمل جزاءا من أحد .

وهذه صفات أميلة في نفسية أخلاقية - يجب أن تتوفر في القائم بأمر الدعوة

وهناك صفات أخرى غنية يجب أن لا تغفل ، أهمها القراءة الكثيرة ، وطلب الاستزادة من المعلم . هذا المطلب كان أمرا من الله

(١) المصدر السابق ص ٥٢ .

— عز وجل — لنبيه — صلى الله عليه وسلم — حيث قال الله تعالى :
فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه
وقبل رب زدني علما (١) ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول :
« اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علما »
والحمد لله على كل حال » .

والعلم الذي يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل
 لطلبه من أقصى المشرق والمغرب ، ليس علما معيناً محدود البداية
 والنهاية ، والقرآن الكريم ليس فيه إلا آية واحدة تناولت العلم
 الدينى ، وهى قوله تعالى : **« وما كان المؤمنون لينفروا كافة غلبوا
 كفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا
 رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »** (٢) .

وما عدا ذلك من الآيات فانها تعنى العلم الشامل لكل المعارف
 الانسانية ، فكل ما يوسع مدارك النظر ، ويزيح السدود أمام العقل
 النهم الى المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صلة الانسان بالوجود ،
 ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والادراك ، وكل ما يتيح له
 السيادة فى العالم والتحكم فى قواه ، والافادة من ذخائره المكنونة ،
 ذلك كله ينبغى التطلع له والتفلسف فيه ، ويجب على المسلم أن يأخذ
 بهمهم منه ، وهذا الشمول دلت عليه الآيات والسنة (٣) .

• يقول ابن الجوزى — من علماء القرن السادس الهجرى — ينبغى
 للماعل أن ينتهى الى غاية ما يحسنه غلو كان يتصور للأدنى مسعود
 السموات لوأيت من أفتيح النفاثين رضاء بالأرض ! ولو كانت النبوة
 تحصل بالاجتهاد رأيت القمر فى تحصيلها فى حضيض (٤) .

(١) سورة طه الآية رقم ١١٤ .

(٢) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢ .

(٣) خنز المسلم — محمد الخزالي — ص ٢١٧ .

(٤) مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية — محمد الخزالي — ص ٢١ .

هذه الصيحة الشماء نفضت من وحى الايمان الحق ، ومن خصائص التربية الاسلامية في الشروق المحمدي الاول ، وهو الشروق الذي قاد رجال أصحاب عزمات تسداد وآمان عراض فطسوا في سيلتهم المشارق والمغارب •

ولو رأى ابن الجوزي المسفين الآن في عصر الفضاء ينظرون الى غزاة الجوبيلامة لحصل السوط وجلد به الظهور ، ولبرأ الاسلام من هذا الانتماء المخزي (١) •

واذا كان العلم بحر لا قرار له ، ولا سلطان له ، وكلما تعمق طالبه فيه فتحت له فيه ابواب جديدة ، وتبينت له معالم كلته هافية ، وتحتاج الى مزيد بحث ، ومزيد تحقيق ، من أجل هذا كان الواجب على حامل العلم ان ينتشد الزيادة منه على الدوام ، وان يستمر في طلبه ما عاش ، فالعلم يحتاج دائما الى تجديد ونماء (٢) •

ومن هنا يظهر بوضوح امر الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم -
« **وقل رب زدني علما** » (٣) •

يقول الشيخ محمد الغزالي : « ان علوم الحياة مساوية لعلوم الآخرة في خدمة المدين وتجليه حقائقه ، غاية ما هنالك ان علوم الطبيعة تحتاج دراسة أطول • اما العلم بالدين فميسور لمن اخلص له اياما معدودات ، واذا كان التوسع في مروع الشريعة يحتاج مددا ضخمة ، فهذا التوسع وظيفته اجتماعية كسائر الوظائف التي تستكثر منها الدولة ، أو تستقل وفق المصلحة التي تتجبع رسالتها العليا • وليست دراسة الحقوق أو القضاء أشرف في ذاتها من دراسة الطب مثلا ، ولو بلغ صاحبها مبلغ أبي حنيفة ، وانما يرجح الرجل صاحبه في علمه بمقدار ما يسخر هذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله ، وانتظار ما لديه من مثوبة » (٤) •

سبحان ربك عما يشركون

(١) المصدر السابق - نفس الصفحة - .

(٢) الاسلام والعلم - د. الفرساوي - ص ٥٨ •

(٣) سورة طه من الآية رقم ٣١٤ •

(٤) خلق المسلم - محمد الغزالي - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ •

بهـ هذه الروح العلمية ، ككل الاسلام للآخذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور ، ومواعيد للتنهوض والارتقاء ، ودوافع للتبسط في الأرض ، والاختلاط بالأمم ، والاعتباس منها ، واستهداف أعراض قصية ، والذباب على بلوغها ، فكان للإسلام ما رمى إليه . فتألفت من أهله أمة لم تبلغ شأوها أمة قبلها ولا بعدها : صحة في العقيدة يحنى العقل والعلم اجلالهما ، وتسليما بها ، وعلوا في الحياة كانوا معها مطمح انظار الأمم ، ومدينة غاضلة تنعم فيها الروح والجسد معا ، مصداقا لقوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنصيبه حياة عليه ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون » (١) .

وإذا كان العلم النافع من أسس الحضارة الاسلامية ، فإن الاسلام لا يقيم حضارته على العلم المادي فقط شأن المدنية الحديثة في العالم الغربي ، وإنما يوجه الانسانية الى مصدر آخر للمعرفة والمعرفة هو القلب ، أو هو الروح والبصيرة ، حضارة الاسلام حضارة ربانية ، حضارة قائمة على العقيدة والأخلاق ، يقول تعالى : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (٢) . فالسمع والبصر : هما أساس العلم المادي ، علم التجربة والملاحظة ، أما القلب فإنه أساس العلم الالهامي .

إن الله سبحانه وتعالى يوجه المسلم الى الملاحظة والتجربة ، ويوجهه أيضا الى الاستشراق للهداية والنور القلبي عن طريق الخلق الكريم ، والمتقوي ، والاخلاص ، وحب الانسانية ، والمعاونة في الخير ، وإذا كان الاسلام أوسع نظرة في الجانب العلمي عن الحضارة الحديثة ، وأدق وأشمل ، فإنه يختلف معها اختلافا جديرا حاسما في مسألة الارادات والنوايا ، وفي امر الأسباب ، وفي اتجاه الغايات والأهداف .

إن الحضارة الحديثة تقول : إن العلم لا صلة له بالأخلاق ، أو تقول العلم لا أخلاقي والعلم في نظرها لا شأن له بالخير والشر .

(١) سورة النحل الآية رقم ٩٧ .

(٢) سورة الاسراء من الآية رقم ٣٦ .

ولكن الاسلام يجعل اسم العلم متمسكة بالخير لسو يجعل عاقبته
منعمسة في الخير ، ويجعل من العلم قريبا الى الله ، ويجعل منه عبادة
فه : انه سبحانه يجعله باسمه الكريم ، ان العلم في الجو الاسلامي
قراءة باسم الله . ومن هنا كانت حضارة الاسلام : حضارة رحمة
وهداية لا حضارة تدمير وتخريب (١) .

ومدق الله حيث يقول :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢) .

وفي هذا وغيره ما يدل على أن دعوة الحق دعوة شاملة ، حولت
العالم كله ونقلته الى أوضاعه الجديدة التي لم تكن معلومة ولا معهودة
لـه من قبل ، ففي ربيع قرن تقريبا كان نبي الإنسانية قد استطاع
اعداد جيش من خلال المعلمين والمجاهدين ، من رهبان الليل ، وقرسان
النهار ، من عشاق الخلد ، ومصلحي الأرض ، سبحانه من أبدع النبي
القاتم — صلى الله عليه وسلم — لينشئ هذا الجيل من الأسماء
البررة المهرة الذين ساحوا في البلاد ، واجتاحوا جذور الفساد ،
وكانوا خير أمة أخرجت للناس .

وفي هذا الدور من الوجود العربي امتزجت خصائص جنس بحقائق
رسالة ، وكانت كلمة (عروبة) ترادف كلمة (اسلام) وعرف العرب
أنهم جسد روحه هذا الدين ، فهم به يتحركون ، وهو بهم ينطلق
ليفتح المسجون ، ويكسر القيود ، ويمكن المستضعفين أن يتنفسوا
المحواء ، ويخرجوا من ضيق الدنيا الى سعة الاسلام ، ومن عبادة
المهاد الى عبادة الله تبارك وتعالى (٣) .

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم — د . عبيد الحليم محمود —
ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) سورة الانبياء الآية رقم ١٠٧ .

(٣) انظر مشكلات في طريق الحياة الاسلامية — محمد الغزالي —
ص ٥٥ .

لقد حولت دعوة الصق العرب الأميين إلى أساتذة رأسخين
مفصله ، وأنشأت حركة فكرية ما كان للعظم عهد بها من قبل ، وذلك
بان أقامت العقل الانساني على الحقائق وبصدها ، وقضت على الأوهام
والظنون ، واعتمدت على الفكر الزكي ، والحواس اليقظة في تقرير
أنواع المعرفة ، وما كانت البشرية تدرك ذلك لولا القرآن الذي عذ
الغيباء ، وبلادة الحواس ، ونقله الوعي في طريق النار ، قال تعالى :
« ولقد أدرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اذان لا يسمعون بها ولهم اذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل
هم اقل اولئك هم الغافلون » (١) .

كما قام المخلق الاسلامي على تشدان الكمال في السلوك الانساني
كسيله .

ولكن يستقيم حال الأمة الاسلامية ، وتكون لها القيادة والصدارة ،
كان ولا بد من دعاة يعرفون الداء ، ويصفون الدواء ، ولو كلفهم ذلك كل
غال وثمن في دنيا الفاس ، عالمن بكتاب الله — تعالى — وبسنة نبيه —
صلى الله عليه وسلم — متأسين بالرسول — صلى الله عليه وسلم —
واصحابه الأطهار .

وما جاء في هذا البحث من توجيه القرآن الكريم والسنة النبوية
من خصائص دعوة الحق ، وصفات القوائم بأمرها ، انصافها هي دعائم
واسس دالة على حقيقة هذه الدعوة وسبيل القوائم بأمرها .

أولاً : مسيل الدعوة

١ - الإخلاص للحق دون غيره :

لقد وجه الله عز وجل مدحه الكريم ، إلى سواه بخاتم سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم وأمره ونحوه على أنه صاحب دعوة الحق ، وذلك ضمن ما يوحى به إليه من مصالح وتوجيهات لفرم بها من أجل إصباح الدعوة ، ووجهه - سبحانه - بأن لا يشرك معه أحد ، ولا يشاركه أحد في دعواه ، ولا كان غير حاد في دعوته أي بحق ، لئلا تعالى

« فلا تدع مع الله أثراً منكم من المطيعين ، وأنذر عشيرتكم الأشرار » (١) .

و مره مدد لإخلاص أن تكون الدعوة إلى الحق وحده ، وفي سبيل حده ، لا يجامع أحد من المصالح على حسابها ، ولا يقصد من وراءه شيئاً يمسول به على الخير ، ويمود إليه بالمصالح المادية أو المعنوية في دنياء التي يحيها ،

ويقتضيه على صلى الله عليه وسلم - هذا التوجيه الإلهي ، وأنذر به حتى أصحابه ، فوجهه دعوته إلى الأقران منه ، وطلب منهم أن يكونوا فدوه حياء منيرهم في تطبيق مبادئها ، وتحقيق أهدافها .

كما سوى صلى الله عليه وسلم - بينهم وبين غيرهم ، ولم يخص أحداً من هلك وعشيرته بموع من التقرب والرفق ، مالم يوافق لافهم لأحد على أحد ، من تقوى والعمل بمصالح ، بطول من هشام وغيره . « ثم برز برسول الله صلى الله عليه وسلم » وأنظر عشيرتك الأشرار » (٢) ، بأن جمع من حو به جميع دويه وأهل قريته وعشيرته ، مقال يا من كذب من لؤي أقعدوا أنفسكم من النار .

١ - سورة الشعراء الآية رقم ٩١٤ : ٢١٤ .

٢ - سورة الشعراء الآية رقم ٩١٤ .

يا معي مرة من كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معي عدد شمس
نقذوا أنفسكم من النار ، يا معي عدد صاف أنقذوا أنفسكم من
النار ، يا معي عدد اطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا غاطمه أنقذ
نفسك من النار ، هاني لا أملك بكم من الله شيئاً (١) .

وعن الوقت الذي يطلب فيه لأخلاص إلى دعوة الحق عيسى
الأنسارك بالله عز وجل ، وعدم مخاطبته أحد على حساب هذا
الحق ، يطلب به كذلك — من صاحب الدعوة أن يكون له من الجانب
مواضعه في علاقته ومعاملته مع من يصاطبهم بهذه الدعوة (الخطبة) (٢) .

كل عهد يدور على أن الدعوة التي الحق فوق الملك ولرياسته
والإمارة ، وفوق الحاة ، من وفوق كل شيء يقع في النفس الإنسانية من
استعلاء وتزلمع على الحق ، نقد أمر الله — عز وجل — به — صلى
الله عليه وسلم — كصاحب دعوة ، ومبشر رسالة ، بالتواضع وليس
الجانب ، وذلك من خلال قوله سبحانه : « وأخفض جناحك لمن أتيتك
من المومنين » (٣) ، فكان صلى الله عليه وسلم كما أمره به — سبحانه
— فعن عياض بن خمار — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى
الله عليه وسلم — : « إن من أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد
على أحد ولا يبغي أحد على أحد » (٤) ، ومن أبي ربيعة ثميم ابن
أسيد — رضي الله عنه — قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم — وهو يخطب ، فقلت : يا رسول الله رجل عريص جاء يسأل عن
دينه لا يدري ما دينه ؟ فأقبل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم
— وترك خطبته حتى انتهى إلى ، فأتى بكرسي فجلس عليه ، وحمل
رطمي مع عمه الله ، ثم أتى خطبته ، فأنتم آخرها (٥) .

(١) : أنظر محق البصرة — د. محمد رمضان البيوطي — ص ٧٩ ، ٨٠
وقال : يتفق عليه واللفظ لمسلم .
(٢) : راجع في ذلك النبوة والأنبياء عه الصابون — ص ٢٩ — ٣٩ .
(٣) : سورة الشعراء الآية رقم ٥٥ .
(٤) : رواه مسلم ، أنظر رياض الصالحين — النووي — ج ١ ص ٢٤٣ .
(٥) : رواه مسلم ، أنظر رياض الصالحين — النووي — ج ١ ص ٢٤٤ .

ومن الدلائل تكري بنو هفصه الشريف هبلى الله عليه وسلم
 « أنه جاءه رجل يحدّثه عبادته ، عده شديدة من عبيته صلى الله عليه وسلم
 فقال له في مواضع شديدة لا يعرف في تاريخ جميعات
 الأممية : هو عليّ حامي نسب بيتك ولا حار ، هذا أبنا من أمراء
 من فريسي كلب تأكل البقيد » (١) ، فاسترد الرجل هدوءه واستمع
 ر يتحدث بحاجته ، ثم من يعلم القوم ويظلم عظماء يا أيها
 الناس اني أوحى لي أن مواضع الأعداء نحو حسن لا ينبغي أحد على
 أحد ولو دم أو معاهد أو مؤمن ، ولا يهمل أحد على أحد
 ويؤمنوا عباد الله اخروا » (٢) .

وهذا يمكن أن يكون من سواهد الاخلاص بدعوة الحق بلانه .

(١) عدم الاثر لك الله - تعالى - .

(٢) عدم محرمه أحد على حساب دعوة الحق ، والإحرام بها
 في تغيير أهله على أحد .

(٣) التواضع وعدم الاستعلاء من جانب بدعي ، شدة المؤمنين
 بدعوة الحق .

وهذا شاهد آخر يصحح في هذه الدعوة الهدى ألا وهو المنجذ
 عن الحق ولكرهه جاء من لا يؤمن بهذه الدعوة بعد عزمها
 عنه ، قال بعضي « من عصوك فقل اني بريء مما تعملون » (٤) ،
 ذلك لأن الأمر بيد الله عز وجل لا بيد أحد من خلقه ، فالكل
 تحت أمره ، ذلك من آيات الله من يهتد الله فهو ابتهت ومن يفلت من
 معذبه له ولد مرشد » (٥) .

(١) انظر الزرقاني في جوابه ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٣) سورة التمراد الآية رقم ٦٧ .

(٤) سورة الكهف من الآية رقم ١٧ .

٢ - هزمن الدعوة بأعنته دون اكراه :

لو استعوضت القرآن الكريم في هدد الجانب مجد أن لرسول
الله - صلى الله عليه وسلم - جانبين ؟

الجانب الأول :

أنه صلى الله عليه وسلم دأع الى الحق بادر الله : قال تعالى
« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى
الله بإذنه وسراجا منيرا » (١) .

والجانب الثاني :

أنه صلى الله عليه وسلم الأسوة بحسنه بلامه الصائمه ، وأن
أمره من أمر الله ، قال تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا
الله واليوم الآخر » (٢) وقال سبحانه : « وما كان المؤمن ولا مؤمنة
إذأ قصى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الفجرة من أمرهم ومن يحسن
الله ورسوله فقد ضلل صلالا مبينا » (٣) .

لكل لو نامت القرآن الكريم ووقفنا وقفه تأمل خاصة فيما جاء في
رسول الله تعالى

« إنما أوتيت أن أعبد رب هذه البلدة الذي هربها وله كل شيء
وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما
يهادي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين » (٤) .

مجد في الآله لاولى مصمون دعوه الحق ، وهي دعوه الى
عبادة الله عز وجل وحده ، الذي له كل شيء في الوجود ، فمن

(١) سورة الأعراب الآية رقم ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة الأعراب بن الآية رقم ٢١ .

(٣) سورة الأعراب الآية رقم ٣٩ .

(٤) سورة النمل الآية رقم ٩١ ، ٩٢ .

من ديث وأمن كل من المسلمين ، وليس في ديث دلالة على أن الإسلام
 برسول - صلى الله عليه وسلم - وحده ، بل في هذه الطائفة اتسم
 به للإسلام ، لتأكيد أنه رسالة الله بـ عز وجل - قال يعني
 « إن الدين عند الله الإسلام » (١) .

أما الآية الثانية ، فهي تشير إلى الانسحاب المتبع الذي يجب أن
 يتجهس به الناس - صلى الله عليه وسلم - ويصف به، وجاء موضوعه
 بدعوة ، عليه أن يدعو الناس على الله ، ويدعوهم بدعائه الإسلام ،
 فمن هتدى به وآمن بالله يهتدى نفسه ، ومن هـ ن وكفر وأعرض
 لعليه ورره ، وعاقبه ، ولا شأن للناس - صلى الله عليه وسلم - به ،
 لموعته لا يحدو أن يكون موقف المصالح لمصلحة ، وهو سهل
 فعل إنما أنا من المشرين » (٢) .

ومعنى ديث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يطلب كل داعية
 له د القدس ، حق لا يجوز به أن يخون مذهبها على الدعوة ، ولا مذهبها
 فيها في أية صورة من صور الأكره والارام ، وهـ را ما يستفاد من
 قول الله تعالى :

« ويأتهمق أنراء وبالحق نزل وما رسلناك إلا مبسرا وبديرا ،
 ومرانا فرقاء لمرأه على الناس على مكث وبرأناهم بريلا » (٣) .

ديث لأنها دعوة هـ ن لا تحتاج إلى أكره ، ومن كان لدعى
 لقد حذرت وطعناته في دعوتها عن طريق التفسر هـ ن يؤمن بدعوة ،
 وحريص الأمد هـ ن يكفر بها ويعارضها ، فليس هناك ما يحمله على الأمر
 والأكره والخير هـ

ومع هـ د دلالة واضحة بحريم الأسس ، والاحتفظ هـ على
 حرمة هـ ، وعلى ممارستها بحريته الفردية ، ومن أجل هذا كاتب دعوه

١١ سورة الممران من الآية رقم ١٩ ،
 ٢٧ سورة النمل من الآية رقم ٩٢ ،
 ٣ سورة الإسراء الآية رقم ١٠٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

الإسلام دعوة للإنسان في ذكر منه ، وعلى مستوى إنسانيته بـ«جميع» كما أراد الله له حين خلقه ، قال تعالى : «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» (١) وقال أيضا : «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا» ، يوم مدعوا كل إنسان بإمامهم فمن أوى كنانة يمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون قتيلا ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيل» (٢) .

٢ - دعوة الحق ليست سلعة يتكسب من خلالها .

نقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ وذلك من خلال ذكره لدعوة الأنبياء والرسل السابقين - وهم لا ينتمون من إنسان آخر ، ولا يقبلون على تلبيح «برسالته» - بما يطلبون لأخر ويسوف من الله - عز وجل - شكلا من الأنبياء كان يعد ذلك على رؤوس الأنبياء ، ويقرر بوضوح وحلاء أن دعوة لم تكن من أجل طلب راتب أو هبة المال ، يقول الله - تعالى - هيبك ذلك

«كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم آخوهم نوح ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعوا ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين» (٣) .

ويقول سبحانه :

«كذبت هذه المرسلين ، إذ قال لهم آخوهم هود ألا تتقون ، إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعوا ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين» (٤) .

١- سورة الفين الآية رقم ٤

٢- سورة الأنعام الآية رقم ٧٢

٣- سورة الشعراء الآية رقم ١٠٥ - ١٠٦ .

٤- سورة الشعراء الآية رقم ١٢٣ - ١٢٧ .

ويقول سبحانه :

« كذبت ثمود المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ،
إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله واطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن
أجرى إلا على رب العالمين » (١) .

ويقول سبحانه :

« كذبت قوم لوط المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون
إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله واطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر
إن أجرى إلا على رب العالمين » (٢) .

ويقول أيضا :

« كذب أصحاب الناقة المرسلين ، إذ قال لهم شعيب ألا تتقوى ،
إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله واطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر
إن أجرى إلا على رب العالمين » (٣) .

فترى من خلال هذه الآيات — السابقة — أن نوحا ، وهودا ،
وصالحا ، ولوطا ، وشعيبا — عليهم السلام — طلب كل واحد من
قومه طلبا واحدا لم يتغير ، ألا وهو الإيمان بدعوة الحق ، دون
انتظار أجر أو ثناء من أحد ، بل الأجر والجزاء من الله — عز وجل — .

وعلى هذا النحو ، وجه القرآن رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — حيث قال الله له : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين » (٤) . وعلى هذا
إشارة واضحة إلى الإيمان بمنهج الرسل السابقين ، والاقتداء بهم ،
وعدم طلب الأجر من أحد من المدعوين ، فبهذا عرض دنيوي
مرفوض .

(١) سورة الشعراء الآيات رقم ١٤١ — ١٤٥ .

(٢) سورة الشعراء الآيات رقم ١٦٠ — ١٦٤ .

(٣) سورة الشعراء الآيات رقم ١٧٦ — ١٨٠ .

(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .

ولكى يسجل القرآن البعد التام عن الانحراف بدعوة الحق ،
 يطلب الله - عز وجل - من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يعلنها
 صريحة في قوله سبحانه :
**« قل ما سألكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو
 على كل شيء شهيد » (١) .**

بعد هذا العرض يسهل لنا أن نقف على السبب الذي من
 أجله تكبو دعوة الحق وتنتشر ، هذا السبب يكمن في الإهتراف
 بدعوة الحق ، وطلب الأجر عليها ، وجعلها وسيلة لجمع المال والجاه ،
 وطلب السيادة والرفعة . وما أخص هذا الهدف بالداعي ، إذ من
 خلاله يفقد الكثير ، ويكفيه المأ وحزننا بعد الناس عنه (٢) .

ومن المؤسف له في عصرنا أن نجد بعض الغافلين لكتاب الله
 - عز وجل - في المسائم والمناسبات ، يستميزون ببعض العلماء في
 بيان ما يقرمون من آيات الذكر الحكيم ، ويأخذون على ذلك أجرا
 ماديا لا يساوي شيئا بجوار فضل الله تعالى .

بذلك هانت الدعوة في النفوس ، وتحول المشهد من إيمان ناضج ،
 إلى قول واستماع وتكسب ، وهذا لا يمد عينا في الدعوة ، بل عينا
 في الداعي إلى الحق ، وقد ديموا قالوا : « ما خرج من القلب دخل القلب ،
 وما خرج من اللسان لا يتجاوز الأذان » .

٤ - دعوة الحق لا تعرف نقى اليهود والمواثيق :

لم يلزم الاسلام المسلمين يوما أن يبدؤا أعداءه بالقتال والمخاربة
 بسبب الدعوة ذاتها ، بل كان الاذن بالقتال صماية لهم دفعها لاعتداء
 غاشم عليه قد يسود الباطل ، وينهزم الحق ، من أجل ذلك حددت
 مشروعية القتال في الاسلام بأمرين :

١١٢ سورة سبا الآية رقم ٤٧ .

(٢) راجع في ذلك : المنتخب في تفسير القرآن الكريم - المجلس الأعلى
 للعلوم الإسلامية ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

الأمر الأول : أن يقع اعتداء من الأعداء والخصوم على المسلمين
بسبب دينهم ورسالتهم .

الأمر الثاني : أن يكون القتال في سبيل الله مع مراعاة حفظ العهود
والمواثيق ، وذلك من أجل تمكين المسلمين في الاستمرار بالدعوة ،
وفي ممارسة دينهم ، وتطبيق مبادئه من غير ضعف وهول ومذلة .

فالحقتال في الإسلام لم يكن مددغه التوسع والغزو والاستيلاء على
حقوق الغير ، وسلب الأموال ، أو من أجل سيطرة أفراد على أفراد ، أو
دولة على دولة ، بل كانت مشروعيته رد الاعتداء ، وتمكين المؤمنين في
مباشرة حقوقهم المشروعة ، مع مراعاتهم حفظ العهود والمواثيق ، قال
تعالى :

« وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد
توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا
تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا
بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم
القيامة ما كنتم فيه تختلفون ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن
يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتضلن عما كنتم تعملن ، ولا تتخذوا
أيمانكم دخلا بينكم فتنزل قدم بعدثيبتها وتذوقوا السوء بما
صدتكم من سبيل الله ولكم عذاب عظيم ، ولا تشتروا بعهدي الله
ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون » (١) .

للقد أراد الله - سبحانه - أن تكون هذه سعة من سمات الأمة
الخاتمة ، راسخة في كيانها ، بعد أن أخبر عن أهل الكتاب أنهم
يشترون بعهدي الله وإيمانهم ثمنا قليلا ، ولقد التزمت هذه الأمة بعهدها
بالفعل ، وصار الوفاء بالعهود والمواثيق خلقا لها تميز به .

وبيان ذلك أننا نرى الجيل الأول الذي ربه الرسول - صلى الله
عليه وسلم - كان أئمة تمسك بكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله

(١) سورة النحل الآية رقم ٩١ - ٩٥ .

— صلى الله عليه وسلم — ، فحينما عقد الرسول — صلى الله عليه وسلم — صلح الحديبية مع مشركي قريش ، كان من بنود الصلح أنه من جاء محمداً — صلى الله عليه وسلم — ممن ينتمى لهم رده اليهم .
 ونحن جاء قريشاً عن المسلمين لم يردوه .

هنا أحسن المسلمون بالمعين الواقع عليهم من هذه الاتفاقية ، وبلغ الضيق بعمر — رضي الله عنه — مبلغه ، فذهب يسأل الرسول — صلى الله عليه وسلم — أو لستنا بالمؤمنين ؟ قال : بلى : قال : أو لستنا بالكافرين ؟ قال : بلى ! قال : فلم تعطى الدين من ديننا . ورد الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالقول الفصل : « اني رسول الله واستأصيه ، وهو ناصري » (١) .

وبينما الاتفاقية عصية ما تزال ، خرج أبو جندل من المشركين متحلاً بالأعمال يريد اللحاق بالرسول — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنين ، فزادت رؤيته على هذه الحال من حزن المسلمين وشعورهم بالعين ، وتقدم عمر يريد أن يلقى السيف إليه ليقاتل به ، ويقتل نفسه من الأسر ، والرسول — صلى الله عليه وسلم — يابى ، ويتمسك بالمعهد المبرم بينه وبين المشركين ، وقلوب المسلمين تتقطع أسى وهم يرون هذا المنظر البئس (٢) .

ولكنه الوفاء بالعهد والمواثيق ، فحق لهم بعد ذلك النهر ، ورفع النبن ، ولمى ذلك يقول الله سبحانه : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلفين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » (٣) ،
 هذا غيما يتعلق بالعهد والمواثيق .

١١. أنظر محققه السيرة ج ١ د ١٠٠٠ ر ٢٥٤ .
 ٢٢. واتقنا المعاصر — مطبعه تطيب — ص ٨٢ ، وأنظر المصدر السابق أيضاً — نفس الصفحة .

٢٣. سورة الفتح الآية رقم ٢٧ .